المجلة التاريخية المصرية ٥٧ (ديسمبر ٢٠٢٣) ٨١-١٠٨

رحلة الخليفة المأمون من مرو إلى بغداد
(٢٠٢ - ٢٠٤هـ / ٨١٦ – ٨١٨ م)

The Journey of Caliph Al-Mamoun From Maro to Baghdad
(202 – 204 AH / 816 – 818 AM)

د. غادة كمال أحمد (*)

ملخص

حفل عهد الخليفة العباسي المأمون بالعديد من الوقائع والأحداث التاريخية التي عنيت بها الدراسات التاريخية على مر العصور المختلفة. وقد ارتبطت بعض هذه الوقائع بالإجراءات والتدابير المثيرة للجدل التى اتخذها الخليفة المأمون والتى لم تنل رضا بنى العباس وأهل العراق بشكل عام، مثل مبايعة أحد العلويين وهو علىّ الرضا بولاية العهد، وغيابه عن بغداد حاضرة الخلافة العباسية واتخاذ مدينة مرو بخراسان مقراً لخلافته، الأمر الذي نجم عنه إثارة الفتن واشتعال الثورات بالعراق إلى حد وصل إلى خلعه ومبايعة عمه إبراهيم بن المهدي بالخلافة.

وأمام هذه الأحداث المتلاحقة لم يجد المأمون مفراً من مغادرة خراسان والعودة مجددا إلى بغداد، في رحلة طويلة حمل فيها ماله ومتاعه واصطحب فيها أهله وخواصه، وسار بخطى ثابتة يحدوه الأمل في أن تؤتى رحلته ثمارها في إقرار الأمن والهدوء ببلاد العراق.

(*) دكتوراه في التاريخ.

انطلق المأمون في رحلته مودعاً بلاد المشرق التي طالما سكن إليها، فلم يطو المنازل التي اجتازها في طريق رحلته، بل نزل كل مدينة مرّ بها لإصلاح شؤونها والاطمئنان علي أهلها.

وقد شهدت دروب رحلة المأمون أحداثاً عظيمة، لم تقع قدرا، أثرت علي سير الأحداث الجارية بالعراق فسقط من سقط وقُتل من قُتل، وانتهت حياة كلاً من الوزير الفضل بن سهل وولى العهد عليّ الرضا علي نحو انقضت معه أسباب الفتن، وأصبح الطريق ممهداً أمام المأمون لدخول بغداد بمظهر يليق بقوة الخلافة وعظمتها.

وأخيراً وصل موكب الخليفة المأمون المهيب بسلام إلى نهاية الرحلة حيث بغداد مدينة السلام دار ملك الآباء والأجداد والقلب النابض للدولة العباسية، فاستقبله أهلها بحبور وترحاب وأمل في غد مشرق يعم فيه الخير أنحاء البلاد.

الكلمات المفتاحية: المأمون – رحلة – مرو – بغداد – ثورة.

Abstract

The era of Abbasid caliph Al-Mamoun was full of many historical facts and events, that were can cerned with various historical studies throughout the ages.some of these incidents extracted the controversial procedures and strengths prepared by the caliph Al-Mamoun and did not satisfy the hope of Iraq's hope, like the impediment of one of the sciences, and he is upon Al-Rida the guardianship of covenant, and his absence from Baghdad, the seat of creation, and his adoption of Maro as the seat of his caliphate, which resulted in provoking strife and igniting revolutions in Iraq to the extent that he deposed the caliph and pledged allegiance to his uncle Ibrahim ibn Al-Mahdi, as caliph.

As for these successive events, Al-Mamoum found no escape from leaving Khurasan and returning again to Baghdad, on a long journey which he carried his family and properties, and he walked at a steady pace hoping that his journey would bear fruit in establishing security and tranquility in the country of Iraq,

Al-Mamoun set out on his journey, bidding farwell to the lands of the east, to which he had always been. He did not travel to the houses

that he passed on the way of his journey, but rather he visited every city he passed to fix his affairs and check on its people.

The paths of Al-Mamoun's journey witnessed great events that affected the course of the current events in Iraq, so whoever fell fell and killed whoever was killed, and the life of both the minister, Al-Fadl bin Sahl, and the crown prince, Ali Al-Rida died. and the road became paved for Al-Mamoun to enter Baghdad with a look befitting the strength and greatness of caliphate.

Finally, the majestic caliph Al-Mamoun's procession arrived safely at the end of the journey, where Baghdad is the city of peace, the abode the King of the patriarchs and the beating heart of the Abbasid state.

Keywords: Al-Mamoun - journey - Maro - Baghdad – revolution.

المقدمة:

يعد الخليفة المأمون من الشخصيات الثرية التي نالت حظاً وافراً من الدراسات التاريخية، ولا يرجع ذلك لكونه من الخلفاء العظام إبان العصر الذهبى للدولة الإسلامية فحسب، ولكن لأنه يعد شخصية مثيرة للجدل كذلك ؛ شهد عصره تغيّرات سياسية وفكرية ودينية كان لها أبلغ الأثر في توجيه المسار السياسي والفكري للخلافه العباسية طيلة عقود تالية، وخاصه في عهد خلفائه المعتصم بالله والواثق بالله الذين ساروا على نهجه في بعض القضايا الشائكة تأسياً به وتنفيذاً لوصيته الأخيرة.

وكان خلع الخليفة المأمون من قبل أهل العراق ومبايعة عمه إبراهيم بن المهدى بالخلافة، من أهم المشكلات السياسية التى وقعت في عهده، ويرجع ذلك إلي الإجراءات أو التدابير السياسية التى اتخذها وأدت بدورها إلي اشتعال الفتن والثورات بالعراق، وعلى رأسها مبايعة علىّ الرضا بولاية العهد واتخاذه مدينة مرو بخراسان مقراً للخلافة، ومن هنا كانت رحلة المأمون من مرو إلي بغداد لتدارك الأمر وانقاذ الأوضاع الخطيرة فى العراق.

انطلق المأمون من مدينة مرو بآل بيته وجيشه وقادته وحاشيته ووزرائه وحرسه وحجابه في رحلة طويلة بلا رجعة الي مدينة السلام، دار ملك آبائه ومركز الخلافة العباسية، التى ابتعد عنها طيلة تسع سنوات انحسرت الأضواء خلالها عن تلك المدينة العريقة لحساب مدينة مرو الخراسانية التى وجهت الأنظار اليها كمقر للخلافة في بداية عهد الخليفة المأمون، فكانت الرحلة التى ساهمت بشكل فعال في إعادة الأمور الى نصابها وتوجيه البوصلة السياسية الى بغداد مرة أخري.

وتتمثل أهداف الدراسة في الوقوف علي دوافع رحلة الخليفة المأمون إلى بغداد وأهم مرافقيه فيها وغاياتها وأهدافها ومساراتها ومنازلها ودروبها وأهم الأحداث التي وقعت خلالها ومدي تأثيرها علي سير الأحداث الجارية في بلاد العراق.

المأمون في مرو:

ولد المأمون (**١٩٨ – ٢١٨ هـ / ٨١٢ – ٨٣٣ م**) ونشأ في بغداد وكانت أمه فارسية تدعى مراجل الباذغيسية[١]، لذا فقد عرف بميله إلى الفرس بحكم صلة القرابة[٢]، وقد راعى الخليفة هارون الرشيد ذلك عندما قسّم أجزاء الدولة الإسلامية بين أبنائه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن، فولى المأمون الولايات الشرقية من حد همذان إلى آخر المشرق[٣]، وهي خراسان وسجستان وجرجان وطبرستان ورويان ودنباوند والري وغيرها[٤].

وظل المأمون مقيماً ببغداد لم ينتقل منها إلى خراسان، وإنما كان يرسل ولاة من قبله لإدارة شؤونها[٥].

وفي عام **١٩٢هـ/ ٨٠٦م** خرج المأمون إلى خراسان بصحبة والده هارون الرشيد، لمحاربة رافع بن الليث أحد الخارجين على سلطان الخلافة [٦]، وعندما وصلوا إلى جرجان أمر الرشيد المأمون بأن يسير ومعه القواد إلى مرو، فتوجه المأمون نحو مرو ثم تأهب لمحاربة رافع بن الليث، فخرج باتجاه سمرقند، فجاءه

---

(١) الذهبى (الحافظ شمس الدين محمد): سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين، ط٢، بيروت **١٩٨٥**، ج١، ص **١٧٤**.

(٢) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، القاهرة **١٩٩٢**، ج٤، ص **١٦**.

(٣) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط **٢**، القاهرة **١٩٦٧**، ج **٨**، ص **٢٧٥**.

(٤) المقريزى (أحمد بن على بن عبد القادر): المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوى، ط **٢**، بيروت **٢٠٠٦**، ج **٤**، ص **١٥١**.

(٥) الطبري: المصدر السابق، ح **٨**، ص **٢٧٠**.

(٦) الأزدى (زكريا يزيد بن محمد): تاريخ الموصل، د.م **٢٠٠٧**، ج **١**، **٥٤٤**، شهرام بى باك: " جغرافياى تاريخي خراسان در ادوار تاريخ "، نشريه علمي تخصص شباك، شماره **١**، **١٣٩٨** ش، ص **٨٢**.

خبر وفاة الرشيد فرجع الى مرو مرة أخري ودخل دار الإمارة، ثم نَعى الرشيد على المنبر وبايع لأخيه محمد الأمين ولنفسه[١].

ولم يلبث أن دارت أحداث الفتنة الدامية بين الأخوين الأمين والمأمون (١٩٣– ١٩٨هـ / ٨٠٧ – ٨١٢ م) والتى انتهت بقتل الأمين ومبايعة المأمون بالخلافة[٢].

وبالرغم من مبايعة المأمون بالخلافة الا إنه ظل مقيماً بمرو، فاتخذها مقراً لخلافته ولم ينتقل إلي بغداد دار ملك آبائه ومركز الخلافة العباسية، لأنه آثر المقام وسط انصاره الموالين له من أهل خراسان، بخلاف بغداد التي كانت يميل أهلها إلى الأمين[٣].

ونعتقد أن المأمون ربما تأثر بأبيه هارون الرشيد، الذى أقام فى الرقة عدة سنوات منذ عام ١٨٠هـ / ٧٩٤ م واتخذها عاصمة ثانية لملكه [٤].

علي أية حال فقد اضطر الخليفة المأمون العودة مرة أخرى إلى بغداد بعد ست سنوات من الإقامة بخراسان منذ أن بويع بالخلافة. وسنذكر فيما يلى أسباب ذلك

أسباب رحلة المأمون إلى بغداد:

قرر المأمون الرجوع إلى بغداد حفاظاً على ملكه بعد أن نما إلى علمه حدوث ثورات ضده فى العراق، أدت إلى خلعه من الخلافة وتولية عمه إبراهيم بن المهدى، وذلك عقب بيعته بولاية العهد لأحد العلويين وهو علىّ بن موسى الرضا [٥]، وما

---

(١) الطبرى: المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٧.

(٢) ابن الطقطقي (محمد بن على بن طباطبا): الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق عبد القادر محمد مايو، ط ١، بيروت ١٩٩٧، ص ١٠.

(٣) راشد عبد الله جميلى: دراسات فى تاريخ الخلافه العباسية، بيروت ١٩٨٤، ص ٨٦.

(٤) غسان الشيخ الخفاجى: السيرة الذهبية، سوريا ٢٠١٩، ص ١٨.

(٥) ابن العمرانى (محمد بن على بن محمد): الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرانى، ط١، القاهرة ٢٠٠١، ص ٩٨.

يعنيه ذلك من إخراج الخلافة من بنى العباس، فضلاً عن نفور أهل العراق من الحسن بن سهل نائب الخليفة المأمون فى العراق واستبداده وأخيه الفضل على الخليفة[١].

وكان الفضل بن سهل وزير المأمون يخفى ذلك عنه حتى لا يتغير رأيه فيه وفى أخيه، وعلم المأمون بما يحدث فى العراق من ولى عهده علىّ الرضا، الذى أخبره كذلك بأن أهل العراق يتهمونه بالرفض والجنون، وإنه إذا لم يتدارك الأمر ذهبت الخلافة منه، فاستيقن المأمون ذلك وأمر بالرحيل واستخلف على خراسان غسان بن عباد[٢].

بداية الرحلة:

بدأت الرحلة إلى العراق فى منتصف عام **٢٠٢**هـ / **٨١٦** م حيث خرج المأمون من مرو بصحبة وزيره الفضل بن سهل وولى عهده علىّ الرضا[٣]، فضلاً عن قادته وجيشه وحاشيته وأهل بيته.

مدة الرحلة:

استغرقت رحلة الخليفة المأمون إلى العراق ما يقرب من عام ونصف العام، حيث خرج من مرو في منتصف عام **٢٠٢** هـ / **٨١٦** م ووصل بغداد في صفر من سنة **٢٠٤** هـ / **٨١٨** م[٤]. وهي مدة زمنية طويلة حتى لقد وصفت سفرة المأمون

---

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكار، ط ١، بيروت ١٩٨١، ج ٣، ص٣١٢.

(٢) نفسه

(٣) اليعقوبي (أحمد بن اسحاق بن جعفر): تاريخ اليعقوبي، بيروت د. ت، ج ٢، ص ٤١٥ ؛ المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين): التنبيه والأشراف، تحقيق إسماعيل الصاوى، القاهرة د. ت، ج ١، ص ١٦٣.

(٤) أبو بكر الزبيدى (محمد بن الحسين بن عبيد الله): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، القاهرة د. ت، ص ٦٥.

تلك بأنها سفرة بطيئة[١]، وذلك لأنه كان يتوقف كثيراً، فكلما مر ببلد أقام فيه حتى يصلح حاله وينظر فى مصالح أهله[٢]، فكان "يسير سيراً مهوناً "على حد قول اليعقوبى[٣].

رفقاء الخليفة المأمون فى رحلته إلى بغداد:

رافق المأمون فى رحلته إلي العراق أهل بيته ووزيره الفضل بن سهل وولى عهده علىّ الرضا وقادته وحاشيته وجيشه وندمائه وحرسه وغيرهم.

أهل بيته:

عندما قرر الخليفة المأمون العودة إلى بغداد اصطحب معه زوجته أم عيسى ابنة موسى الهادى وإبنيه، وكان المأمون قد تركهم فى بغداد حينما توجه إلى مرو سنة **١٩٢** هـ / **٨٠٦** م فظلوا يقيمون فى قصر المأمون ببغداد، ولما انتصر على أخيه الأمين سنة **١٩٨** هـ / **٨١٢** م خرجوا إليه إلي خراسان[٤]. كما رافقته إبنته أم حبيب التى زوّجها إلي علىّ الرضا فى طريق عودته[٥].

الفضل بن سهل:

اصطحب المأمون في رحلته وزيره الفضل بن سهل، الذى كان مقرباً إليه لدرجه أنه فوض إليه أموره كلها وسماه ذا الرئاستين [٦]، فخرج مع المأمون من مرو

---

(١) فاروق عمر فوزى: "سياسة المأمون تجاه العلويين"، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، ع **١٩**، **١٩٧٣**، ص **٢٩٣**.

(٢) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ص ج **٢**، ص **٢٥٤**.

(٣) البلدان، ط **١**، بيروت، **١٤٢٢**هـ، ص **١٤١**.

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص **٤٢٠**.

(٥) اليافعى (أبو محمد عفيف الدين): مرآه الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط **١**، بيروت **١٩٩٧**، ج**٢**، ص **١٠**.

(٦) ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن): المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط **١**، بيروت **١٩٩٣**، ج**١٠**، ص**١١٠**.

وسار معه إلى سرخس الا إنه قتل هناك ولم يكمل معه الرحلة إلى العراق كما سنذكر فيما بعد.

علىّ بن موسى الرضا:

خرج على الرضا بصحبة الخليفة المأمون، وهو أحد الأئمة الإثنيعشر، وقد بايعه المأمون بولاية عهده وزوّجه إبنته أم حبيب [١]، إلا أنه لم يكمل رحلته مع الخليفة المأمون، حيث توفى فى طوس سنة **٢٠٣**هـ / **٨١٧**م[٢]

أحمد بن أبى خالد الأحول:

كان ممن صحب الخليفة المأمون فى رحلته الى العراق، وكان كاتباً للمأمون بمرو فولاه ديوان التوقيع وديوان الفض والخاتم، كما قلده أعمال جليلة فى خراسان وما وراء النهر [٣]، ثم استوزره بعد مقتل وزيره الفضل بن سهل بسرخس [٤]. وقد وصل مع المأمون إلى بغداد.

علىّ بن صالح:

كان حاجباً للمأمون [٥]، وكان مصاحباً له فى رحلته إلى العراق، وكان له معه أحاديث طويلة بشأن بعض الشخصيات والأحداث الجارية فى العراق سنذكرها فيما بعد.

---

(١) اليافعى: مرآة الجنان، ج **٢**، ص **١٠**.

(٢) عليرضا كشور دوست، " خراسان بزرك در فرانيدهاى زمان "، فصلنامه علمى – بزوهشي يزوهشانامه خراسان بزرك، شماره **٨**، **١٣٩١** ش، ص **٧٠**.

(٣) التنوخى (المحسن بن على بن محمد): الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجى، بيروت **١٩٧٨**، ج **٣**، ص **٢٥٣**، **٢٥٤**.

(٤) ابن طيفور (أحمد بن أبى طاهر): بغداد، تحقيق عزت العطار الحسيني، ط**٣**، القاهرة **٢٠٠٢**، ص **١١٨**.

(٥) الزبير بن بكار (ابن عبد الله القرشى):الأخبار الموفقيات، تحقيق سامى مكى العانى، ط **٢**، بيروت **١٩٩٦**، ص **٤٣**.

علىّ بن هشام بن فرخسروا:

أحد قادة المأمون الذى قدم بغداد معه، وكذلك أخيه أحمد بن هشام القائد، وقد اصطنعهما المأمون فى مرو وعملا فى خدمته، فولاهما الأعمال ووصلهما بالصلات الجزيلة[١].

عمرو بن مسعدة:

كان كاتباً للمأمون فكان يتولى ديوان الرسائل [٢]، وكان ممن رافق الخليفة فى رحلته إلى بغداد، وروى العديد من الروايات الخاصة بالخليفة المأمون والتي وقعت فى طريق سفره، وقد أسند إليه المأمون الوزارة فيما بعد[٣].

أبو محمد اليزيدى:

من أهل العلم والأدب واللغة، وكان يؤدب المأمون مع أبيه يحيي[٤]، وقد خرجا مع المأمون عندما سافر إلى خراسان [٥]، وأقاما فى خدمته فى مرو، وكان أبو محمد اليزيدى ملازماً للمأمون، وكان يدخل إليه مع الفجر يصلى به ويدرس عليه بثلاثين آيه، " ولا يزال يعادله فى أسفاره ويفضى إليه بسره"[٦].

وقد خرج أبو محمد اليزيدى فى صحبة المأمون إلى العراق، أما والده يحيي فقد توفى بخراسان سنة **٢٠٢ هـ/ ٨١٦ م** [٧].

---

(١) ابن طيفور: المصدر السابق، ص **١٤٥**.

(٢) المرزبانى (أبو عبيد الله محمد بن عمران): معجم الشعراء، تصحيح ف. كرنكو، ط **٢**، بيروت **١٩٨٢**، ص **٢١٩**.

(٣) الحصرى (ابراهيم بن على بن تميم):جمع الجواهرفى الملح والنوادر، د. م – د. ت، ص **٨٩**.

(٤) المقريزى: المقفى الكبير، ج **٧**، ص **٥٤٣**.

(٥) ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين أحمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط**١**، د. م **١٩٠٠**، ج **٦**، ص **١٨٣**، **١٨٩**.

(٦) الهروى (أبو عبيد القاسم بن سلام): الغريب المصنف، تحقيق صفوان عدنان داوودى، د. م **١٤١٥** هـ، ج **١**، ص **٢٧٦**.

(٧) ابن خلكان: المصدر السابق، ج **٦**، ص **١٨٩**.

محمد بن جعفر بن عليّ بن الحسين بن عليّ:

الملقب بالديباج لحسن وجهه، وكان قد خرج بمكة سنة ٢٠٠هـ / ٨١٤م وتم مبايعته بالخلافة ولقب بأمير المؤمنين، فأرسل الخليفة المأمون إليه جيشاً فحاربه وهزمه فطلب الأمان ثم توجه إلى مرو مقرالخليفة المأمون فعفا عنه[١].

وعندما سار المأمون إلي العراق اصطحب محمد بن جعفر معه، إلا أنه مات بجرجان[٢]، فلم يكمل مسيره إلى العراق، وعندما توفى نادى منادى: " ألف المأمون ألا تسيئن الظن بأمير المؤمنين، فإن محمد بن جعفر جمع بين أشياء فى يوم واحد "، وقبره بجرجان ومشهده يزار معروف ومشهور بقبر الداعى[٣].

مؤرج بن عمرو أبو فيد السدوسى:

هو من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد، عالم بالعربية والحديث والأنساب، وله كتاب فى غريب القرآن رواه عنه أهل مرو، وكان قد رحل مع المأمون إلى خراسان وسكن مدينة مرو ثم قدم معه العراق[٤].

رفقاء آخرون:

أقدم الخليفة المأمون معه أحد الكتّاب ويدعى ابن أبى العباس الطوسى[٥]، وقدم معه بعض الشعراء الخراسانيين[١]، وكذلك رجل من دهاقين الشاش

---

(١) ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم): الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، ط ١، بيروت ١٩٩٧، ج ٥، ص ٤٧٢، ٤٧٣ ؛ القمى (حسن بن محمد بن حسن): تاريخ قم، تصحيح سيد جلال الدين طهران، ١٣٥٣ ق، ص ٢٢٣.

(٢) القمي: نفس المصدر، ص ٢٢٣.

(٣) السهمى (أبو القاسم حمزة بن يوسف): تاريخ جرجان، تحقيق محمد عبد المجيد خان، ط ٤، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٦٩.

(٤) الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على): تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، د. م – د. ت، ج ١٣، ص ٢٥١ ؛ ياقوت الحموى: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط ١، بيروت ١٩٩٣، ج ٦، ص ٢٧٣١.

(٥) الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب): الرسائل، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٦٤، ج ٢، ص ٢٠٣.

وعظمائهم، وكان وعده المأمون بأن يوليه بلداً، فوصله المأمون وأجابه بما سأل بعد عودته إلى بغداد[٢]. وعندما خرج المأمون إلى خراسان خرجت معه حاشيته وكذلك مرضعته وأبنها، ولما عاد إلى بغداد عادت حاشيته ومنها تلك المرأة وابنها الذى صار صاحب بيت مال الخليفة[٣].

وقدم مع الخليفة المأمون كذلك أحد المرتدين الخراسانيين، الذى حمله المأمون معه من خراسان حتى وافى به العراق ونجح فى إقناعه بالحجة والبرهان بعد حديث طويل دار بينهما رجع بعده إلى الإسلام مرة أخرى[٤].

مسار الرحلة:

سافرالخليفة المأمون عبر طريق خراسان وهو الطريق الأعظم كما يصفه الطبرى[٥]، ويعرف كذلك باسم طريق المشرق[٦]، وطريق القوافل الكبير[٧].

وقد وصف لسترنج [٨] الطبيعة الجغرافية لهذا الطريق الذي يبدأ من بغداد الشرقية من باب خراسان ثم يقطع السهل عابراً أنهاراً عديده فوق قناطر حسنة البناء حتى يبلغ حلوان، ثم يدخل هذا الطريق إقليم الجبال، وبعد مروره ببعض الجبال يصل قرميسين، ويمر بهمذان ثم الرى ثم يمر بقومس، ثم يتابع سيره فيصل

---

(١) القرطاجني (حازم بن محمد بن حسين): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، د. م – د. ت، ص ٦٧.

(٢) البيهقي (أبو عبيد الله بن محمد): المحاسن والمساوئ، د. م – د. ت، ص ٢٥٣.

(٣) سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف): مرآة الزمان فى تواريخ الأعيان، تحقيق محمد بركات وآخرون، ط ١، دمشق ٢٠١٣، ج ١٤، ص ١٦٥.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، بيروت سنة ١٤٢٣، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٨٢٩.

(٦) ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله): المسالك والممالك، بيروت ١٨٨٩، ص ٤١.

(٧) لسترنج: بلدان الخلافه الشرقية، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط ١، د. م ٢٠٠٦، ص ٢٦٢

(٨) نفس المرجع، ص ٢٣.

إلى نيسابور ثم طوس حتي يبلغ مرو، ثم يجتاز بعض الصحارى ونهر جيجون وبعض مدن إقليم ما وراء النهر حتى يصل الى تخوم الصين.

وبما أن الخليفة المأمون بدأ رحلته من مرو فكان خط سيره كالتالي: مرو – سرخس – طوس – بيهق – جرجان – الرى – همذان – قرميسين – حلوان – النهروان – بغداد، وذلك وفقا لما ورد فى المصادر المختلفة [١]. وسنعرض فيما يلى أهم المدن التي اجتازها الخليفة المأمون أثناء رحلته ونزل بها.

منازل الرحلة:

مرو:

لم تكن مدينة مرو من منازل رحلة الخليفة المأمون، بل كانت دار مقامه بخراسان قبل وبعد توليه الخلافة، وقد آثرنا ذكرها باعتبارها نقطة انطلاق رحلته إلى العراق.

ومرو هى أشهر مدن خراسان وقصبتها[٢]، ويصفها المقدسي[٣] بأنها أم القرى بأقاليم الأعاجم، وكما ذكرنا فقد كانت مرو هي دار إقامة المأمون منذ عام **١٩٢** هـ / **٨٠٦** م حتي عام **٢٠٢** هـ / **٨١٦** م أي لمدة تسع سنوات[٤].

ولمدينة مرو أربعة أبواب منها باب يعرف بـ " باب درمشكان " كان قصر المأمون ومعسكره على هذا الباب[٥]. وقد ذكر ابن المجاور[٦] فى معرض حديثه عن

---

(١) انظر علي سبيل المثال: ابن طيفور: بغداد، ص **١١**، **١٢** ؛ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج **٥**، ص **٥٩٥**،، ج **٨**، ص **٥٧٤**

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ط **٢**، بيروت **١٩٩٥**، ج **٥**، ص **١١٢**.

(٣) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط **٣**، بيروت د. ت، ص **٢١٣**.

(٤) الأصفهانى (حمزه بن الحسن): تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، د. م **١٩٢٢**، ص **١٤٤**.

(٥) الاصطخرى (ابو اسحاق ابراهيم بن محمد): مسالك الممالك، بيروت **٢٠٠٤**، ص **١٦٢**؛ فريبا بات: أوضاع سياسي – اقتصادى مرو در جاده خراسان تا حمله مغول"، مطالعات تاريخ إسلام، شمارة **٣١**، **١٣٩٥** ش، ص **٣٥**.

(٦) تاريخ المستنصر، د. م – د. ت، ص **٤١**، **٤٢**.

المدن التى كانت حبوساً للملوك أن مرو كانت حبساً لأمير المؤمنين عبد الله المأمون.

علي أية حال فإنه في عام ٢٠٢هـ / ٨١٦ م غادر الخليفة المأمون مرو قاصداً العراق[١].

سرخس:

كانت مدينة سرخس أول منازل المأمون فى رحلته نحو العراق، وهى مدينة بينها وبين مرو ثلاثون فرسخاً[٢]. وقد توجه إليها الخليفة بصحبة وزيره الفضل بن سهل وولى عهده علىّ الرضا وقادته وحاشيته وغيرهم.

وقد وقع حدث عظيم أثناء تواجد المأمون في هذه المدينة، يتمثل فى مقتل الفضل بن سهل، حيث هجم عليه أربعة من حشم الخليفة المأمون وهو في الحمام وضربوه بالسيوف حتى مات،فأمر المأمون بقتلهم على الرغم من اعترافهم بتحريضه لهم بقولهم "أنت أمرتنا بقتله "إلا أن ذلك لم يشفع لهم[٣].

ومن العجيب أنه عندما طالب المأمون والدة الفضل بما خلّفه، حملت إليه سلة مختومة مقفلة، ففتح قفلها فإذا صندوق صغير مختوم، فإذا فيه درج به ورقة حرير مكتوب فيها " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه، قضى أنه يعيش ثمان وأربعين سنة ثم يقتل بين ماء ونار"[٤].

وقد ارتحل المأمون من سرخس يوم عيد الفطر من سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٦م[٥].

---

(١) الأصفهانى: المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٢.

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٦٥.

(٤) اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقطان، ج ٢، ص ٦ ؛ خواندمير: حبيب السير فى أخبار أفراد بشر، جاب دوم، تهران ١٣٠٣ هـ، جلد دوم، ص ٢٥٦.

(٥) ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن عمر): البداية والنهاية، بيروت ١٩٨٦، ج١٠، ص ٢٤٩.

طوس:

بعد مقتل الوزير الفضل بن سهل ارتحل الخليفة المأمون من سرخس وتوجه نحو طوس بصحبة ولي عهده عليّ الرضا سنة **٢٠٣** هـ / **٨١٧** م[١]، وطوس مدينة تقع ما بين الري ونيسابور[٢]، وقد توفى بها الخليفة هارون الرشيد سنة **١٩٣**هـ/**٨٠٧**م، وعندما نزلها المأمون أقام عند قبر أبيه، ثم توفى عليّ الرضا بها فجأة، فصلى عليه الخليفة المأمون ودفنه إلي جانب أبيه [٣]. وقد تأخر رحيل المأمون لهذا السبب[٤].

ومن الطريف ما قام به أهل طوس من إرسال قُصة إلى الخليفة المأمون، توسلوا إليه فيها بقبر أبيه عندهم، وطلبوا أن تحول الكعبة إلى بلدهم[٥].

بيهـق:

هي ناحية كبيرة وكورة واسعة من نواحي نيسابور[٦]، اجتازها الخليفة المأمون وأقام بها مدة فى رحلته تجاه العراق، حيث نزل فى قرية نزل آباد، وأنقص جزءاً من خراجها، ثم توجه من هناك إلى جرجان[٧].

---

(١) نفسه، ج **١٤**، ص **١٢٦**.

(٢) البكرى: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ط **٣**، بيروت **١٤٠٣** هـ، ج **٣**، ص **٨٩٨**.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق، ج**١٤**، ص**١٢٦**.

(٤) سبط ابن الجوزى، مرآه الزمان، ج **١٣**، ص **٣٨٨**.

(٥) الآبى (منصور بن الحسين الرازي): نثر الدر في المحاضرات، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، ط **٢**، بيروت **٢٠٠٤**، ج ٧، ص **١٩٢**.

(٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٨، ص **٥٣٧**.

(٧) ابن فندمة (أبو الحسن ظهير الدين على): تاريخ بيهق، ط **١**، دمشق **١٤٢٥**هـ، ص **١٥٠** ؛ فضل اله فولادى، " جغرافياي تاريخي وسياسي بيهق ازفتح اسلام تا دوره غزنويان "، تاريخنامه خوارزمى، شماره بيستم، **١٣٩٦**، ص **١٨٧**.

جرجان:

مدينة مشهورة تقع بين طبرستان وخراسان[١]، وقد نزل بها الخليفة المأمون أثناء رحلته وأقام بها شهراً[٢] "فحكم وعدل وأنقص من خراجها"[٣].

وقدم الخليفة المأمون جرجان ومعه محمد بن جعفر بن عليّ بن الحسين ابن عليّ أحد الأئمة العلويين، الذى رافقه ممن رافقه في رحلته إلى العراق إلا أنه توفى بجرجان، وقد بنى المأمون قصراً له بجوار قبره[٤].

ولم يمكث الخليفة المأمون طويلاً بجرجان بسبب طبيعة مناخها الذى يصفه ابن حوقل[٥] بقوله "ولا تخلو جرجان صيفاً وشتاءً من الأمطار الدائمة الكثيرة العظيمة المؤذية القاطعة للغريب عن الأشغال، الصادة عن المهمات من الأعمال"، لذا فقد تبرم الخليفة المأمون أثناء وجوده بها وضجر وقال: "أخرجونى من هذه البقعة البوّالة الرشاشة"[٦]، ثم أنقص من خراجها وتوجه إلي الرى[٧].

الرى:

بعد خروج الخليفة المأمون من جرجان توجه إلى الرى عام **٢٠٣** هـ / **٨١٧** م، فأقام بها أياماً [٨]، وقد أنقص المأمون من خراج الرى ما يقرب من ألفى ألف درهم، فصار عشرة ألف ألف درهم بعد أن كان إثنى عشر ألف ألف درهم، وكان

---

(١) ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج **٢**، ص **١١٩**.
(٢) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج **٨**، ص **٥٧٤**.
(٣) ابن فندمة، المصدر السابق، ص **١٥٠**.
(٤) السهمى: تاريخ جرجان، ص **١٥٧**.
(٥) صورة الأرض، بيروت **١٩٣٨**، ج **٢**، ص **٣٨٢**.
(٦) ابن فندمة: المصدر السابق، ص **١٥٠**.
(٧) نفسه.
(٨) الطبرى: المصدر السابق، ج **٨**، ص **٥٧٤**.

الخليفة أبو جعفر المنصور (**١٣٦ – ١٥٨**هـ / **٧٥٤ – ٧٧٥** م) قد زاد خراج الرى وأثقله على أهلها لخروجهم مع سنباذ الطالب بدم أبى مسلم الخراسانى، وعندما مرّ عليهم المأمون فى طريقه أنقصه عنهم[١].

ويروى علىّ بن صالح حاجب الخليفة المأمون حديثاً دار بينهما في الرى بشأن إسماعيل بن جعفر أمير البصرة، والذى كان صديقاً لعلىّ بن صالح، وكان المأمون يبغضه بسبب رفضه تنفيذ أوامره الخاصة بمبايعة علىّ الرضا ولبس الخضرة [٢]، فذكره علىّ بن صالح طالباً من الخليفة العفو عنه قائلاً: يا أمير المؤمنين رجل من أهلك ركب عظيمة وجاء شيئاً إداً، وقد آمنت الأحمر والأسود، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخصه بأمان يسمه به، فإن عفو الله لك بإزاء عفوك عنه، فقال: اللهم أنت شهيدى أنى قد عفوت عن الأحمر والأسود وأعطيتهم أمانك وأمنك وخصصت بذلك إبراهيم بن المهدى واسماعيل ابن جعفر وعمت الناس كلهم ..."[٣].

همذان:

خرج المأمون من الرى متوجهاً إلى همذان عبر طريق سهلى تقل به الجبال[٤]، وقد وصل همذان فى ذى الحجة سنه **٢٠٣** هـ / **٨١٧**م [٥] فأقام بها شهراً[٦]، وفى هذا التوقيت كانت جيوش الخليفة قد أعادوا بغداد إلى طاعته وخلع أهلها إبراهيم بن المهدى ودعوا للمأمون[٧].

---

(١) قدامه بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة، ط ١، بغداد **١٩٨١**، ص **٣٧٦**.

(٢) ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة **١٩٦٢**، ج ١، ص **٣٤**.

(٣) ابن طيفور: بغداد، ص**١٢**.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ج **٢**، ص **٣٧١**.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص **٥٧٣**.

(٦) المقريزى: المقفى الكبير، ج **٤**، ص **١٦٥**.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج **١٠**، ص **٢٥٠**.

قرميسين:

ثم واصل الخليفة المأمون رحلته ووصل الى قرميسين وهي بليدة بين همذان وحلوان[١]، أقام بها المأمون أياماً[٢]. وقد اقترح عليه مقربوه ان يمكث فيها مدة أطول حتى تنتهى الفتن في بغداد، فقالوا له: هذا منزل طيب فلو أقمت بها أياماً حتي يأتيك خبر إبراهيم بن المهدى ببعض ما تحب. قال: لا والله. قالوا: فإننا نتخوف أن تكون دماء، فتكون هاهنا حتى يقضى الله من أمره ما يقضى، فرفض الخليفة المأمون وارتحل حتى بلغ حلوان، فما أن وصل حتى جاءه الخبر باختفاء إبراهيم بن المهدى[٣].

حلوان:

ثم تابع الخليفة المأمون سيره حتى وصل إلى حلوان وهى "مدينة فى سفح الجبل المطل على العراق، وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها"[٤]. والمتجه من خراسان الى حلوان لابد أن يسير فى عقبة حلوان التى كان الناس يلقون منها شدة عظيمة[٥].

وذكر احمد بن أبى خالد الأحول وزير المأمون أنه كان زميل الخليفة عندما قدم من خراسان ووصل إلى عقبة حلوان، ودار بينهما حوار حول ما يحدث فى بغداد. فقال له المأمون: يا أحمد إني أجد رائحة العراق، فأجابه أحمد بن أبي خالد بإجابة ليست في موضعها، حيث قال له: ما أخلقه. قال له المأمون: لكنى أحسبك سهوت أو كنت مفكراً. قال: فيما فكرت. قال: فكرت فى هجومنا على بغداد وليس معنا إلا

(١) الفزوينى (زكريا محمد بن محمد): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت د. ت، ص ٤٣٣.
(٢) ابن طيفور: المصدر السابق، ص ١١.
(٣) ابن طيفور: بغداد، ص ١٢.
(٤) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص ٨٧، ٢٠٠.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ٦٨.

خمسون ألف درهم مع فتنة غلبت على قلوب الناس واستعذبوها، فكيف يكون حالنا إن هاج هائج او تحرك متحرك؟ قال: صدقت يا أحمد ما أحسن ما فكرت، ولكنى أخبرك الناس على طبقات ثلاث فى هذه المدينة: ظالم ومظلوم ولا ظالم ولا مظلوم، فأما الظالم فليس يتوقع إلا عفونا، وأما المظلوم فليس يتوقع أن ينصف الا بنا، ومن كان لا ظالماً ولا مظلوماً فبيته يسعه"[١].

وعندما كان المأمون بحلوان كان يخرج أحياناً يتفقد عسكره، فخرج يوماً ليلاً فرأى عمرو بن سعيد بن سلم الباهلى، وكان من حرس المأمون بحلوان، فربت على كتفه وسأله عن اسمه فأجابه، ثم قال له المأمون: أنت الذى كنت تكلؤنا فى هذه الليلة. فقال: يكلؤك الله يا أمير المؤمنين. فأنشد المأمون شعراً فقال:

إن أخاك الحق من يسعى معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب زمان صدقك ... فرق من جميعه يجمعك[٢].

النهروان:

هى مدينة صغيرة على بعد أربعة فراسخ من بغداد[٣]، وهى أقرب مراحل طريق خراسان إلى بغداد[٤]. ويذكر الطبرى[٥] أن الخليفة المأمون بعد خروجه من الرى جعل يسير المنازل ويقيم اليوم واليومين حتي صار إلى النهروان وذلك يوم السبت فأقام فيه ثمانية أيام.

---

(١) ابن طيفور: المصدر السابق، ص ١٢.
(٢) الجريرى (أبو الفرج المعانى بن زكريا): الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى، تحقيق عبد الكريم سامى الجندى، ط ١، بيروت ٢٠٠٥، ص ٨٧.
(٣) الإصطخرى: مسالك الممالك، ص ٨٦.
(٤) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٨٥.
(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٧٤.

وعندما وصل المأمون النهروان خرج إليه أهل بيته والقواد وأكابر الناس فسلموا عليه. وكان قد كتب إلي قائده طاهر بن الحسين من الطريق وهو بالرقة أن يتوجه إلى النهروان لموافاته بها [١].

وقبل أن نصل إلى المحطة الأخيرة من رحلة الخليفة المأمون وهى بغداد، لابد أن نشير فى عجالة إلى بعض الأحداث التى وقعت فى الطريق.

فى الطريق:

أثناء رحلة المأمون من مرو إلى العراق وقعت بعض الأحداث يمكن إجمالها فيما يلى:

- مقتل الوزير الفضل بن سهل في سرخس سنة **٢٠٢** هـ / **٨١٦** م.
- تزويج الخليفة المأمون ابنته أم حبيب من ولى عهده علىّ الرضا، الذى مات فجأة بطوس سنة **٢٠٣** هـ / **٨١٧** م.
- وفاة محمد بن جعفر الملقب بالديباج فى جرجان سنة **٢٠٣** هـ / **٨١٧**م.
- استقبل العلويون* الخليفة المأمون فى بعض الطريق يعتذرون إليه مما كان من خروجهم عليه، فعفا عنهم قائلاً لهم: أولنا وأولكم ما تعلمون وآخرنا وآخركم ما تريدون وتناسوا ما بين ذلك[٢].
- فى الطريق كانت تجرى مكاتبات بين الخليفة المأمون وقادته وأمرائه ببغداد يطلعونه على مستجدات الأمور وأخبار الثورة أولاً بأول، على سبيل المثال

---

[١] تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص **٥٧٤**.

* شهد عهد المأمون خروج بعض العلويين مثل ابن طباطبا بالكوفة ومحمد بن جعفر بالبصرة وخروج الأفطس بمكة وذلك في عام **١٩٩** هـ / **٨١٣** م.
أنظر: خليفة بن خياط (أبو عمرو خليفة بن خياط): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمرى، بيروت **١٣٩٧** هـ، ص **٤٦٨**، **٤٦٩**.

[٢] الآبى: نثر المحاضرات، ج **٣**، ص **٨١**.

الكتاب الذى أرسله أمرائه إليه سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٧ م يخبرونه فيه بتغلب الثوار على نائبه فى العراق الحسن بن سهل، فكتب إليهم إني واصل على إثر كتابى هذا[١].

- أثناء سير المأمون نحو النهروان، كتب إلي قائده طاهر بن الحسين من الطريق وهو بالرقة أن يوافيه بالنهروان فوافاه بها[٢].

قدوم المأمون بغداد:

دخل المأمون بغداد يوم السبت في منتصف صفر من عام ٢٠٤ هـ / ٨١٨ م فى أبهة عظيمة وجيش عظيم[٣]، أو كما يقول الذهبى[٤] " فى محمل لم يسمعه بمثله"، ودخل من باب خراسان والحربة بين يديه في يد محمد بن العباس بن المسيب ابن صاحب الشرطة[٥]، وكان المأمون يرتدى ملابس الخضرة هو وأصحابه، فلبس أهل بغداد وجميع بني هاشم الخضرة وظلوا على ذلك ثمانية أيام[٦].

ولما دخل المأمون بغداد استقبله أنصاره استقبالاً حافلاً فقالوا: الحمد لله الذى شد بك الحق وردك إلى دارك مدفوعاً عنك مستجاباً لنا فيك، فأنت كما قال حسان بن ثابت فى رسول الله (ص) يوم دخل المدينة:

وكنا حين نذكر منك نهى ... يجل الوصف عن وصف المقال
بحمد الله حين حللت فينا ... بنورك تجتلى ظلم الضلال
وكنت كرامة نزلت علينا ... بأسعد طائر وبخير حال [٧].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٤٩.
(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، إ ٥٧٤.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٥٠.
(٤) سير اعلام النبلاء، ج ١١١، ص ٢٨٢.
(٥) ابن طيفور: بغداد، ص ١٤.
(٦) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٥٠.
(٧) ابن طيفور: المصدر السابق، ص ١٣.

كما قال الشاعر أبو تمام الطائى حين قدم المأمون بغداد:

الله أكبر جاء أكبر من جرت فتعثرت فى كنهه الأوهام
من لا يحيط الواصفون بقدره حتي يقولوا قدره إلهام [١].

علي أية حال عند قدم المأمون مدينة السلام نزل بقصره فى الرصافة ثم تحول عنه فنزل قصره علي شط دجلة [٢] وتردد الأمراء ووجوه الدولة على منزله لتقديم الولاء وفروض الطاعة[٣].

وهكذا وصلنا إلي نهاية رحلة الخليفة المأمون التي بدأت من مرو بخراسان وأنتهت ببغداد دار ملك آبائه ومركز الخلافة العباسية، والتي اتخذها مقراً لخلافته منذ قدومه سنة **٢٠٤**هـ / **٨١٨** م وحتي نهاية حكمه سنة **٢١٨**هـ / **٨٣٣** م

وقد شبّه العمرى[٤] الخليفة المأمون فى سفره إلي بغداد بالخليفة الفاطمى المعز لدين الله بقوله: " والمعز بن المنصور طمحت همته إلى ترك إفريقية لبعض غلمانه وخدامه وتجهز إلى مصر، بعدما ما أنهض لها مولاه جوهراً ففتحها وبنى له حضرة القاهرة، وسفرته من إفريقية الى مصر وما ظهر منه من حسن التدبير وهبوب النصر والحزم والاستيلاء، كسفرة المأمون من خراسان إلى بغداد وتسكينه ما اشتعل من نار الفتنة ".

---

(١) الآمدى (أبو القاسم الحسن بن بشر): الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى، تحقيق السيد أحمد صقر، ط ٤، القاهرة **١٩٩٤**، ج **٢**، ص **٣٤٩**.

(٢) الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص **٥٧٤**.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق، ج **١٠**، ص **٢٥٠**.

(٤) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، ط ١، أبو ظبى **١٤٢٣**، ج **٢**، ص**١٤٨**.

الخاتمة:

كانت رحلة الخليفة المأمون من مرو إلى بغداد رحلة ذات طابع خاص؛ فهى رحلة لإنقاذ ملك وتثبيت دعائم حكم وإثبات حق وإزهاق باطل وتسكين فتنة وإخماد ثورة وقضاء على الخصوم وتحقيق الأمن والهدوء فى بلاد العراق، التي شهدت اضطرابات سياسية أدت الى خلع الخليفة الغائب.

والرحلة ذهاباً وإياباً تكاد تنطوى علي نفس المقاصد والغايات، مع اتساع الفارق الزمني بينهما الذي قد يصل الي إثنى عشر عاماً، فقد غادر المأمون بغداد سنة **١٩٢**هـ /**٨٠٦**م وهو لا يزال أميراً، لتأمين ممتلكاته الشرقية الذي عهد إليه هارون الرشيد بإدارتها، ثم عاد إليها مرة أخري سنة **٢٠٤** هـ / **٨١٨** م لإنقاذ ملكه من الضياع وتثبيت حقه في الخلافة.

وقد توصلت الدراسة الي النتائج الآتية:

- ارتبط الخليفة المأمون بخراسان ارتباطاً ناجماً عن صلة القرابة التى تجمعه بأهلها، الذين قدموا كافة أشكال الدعم والمساندة له طوال مدة بقائه بها من ناحية، وبحكم إسناد أبيه هارون الرشيد حكم الولايات الشرقية له عندما قام بتقسيم الدولة الإسلامية بين أبنائه الثلاثة من ناحية أخري.
- كانت مرو دار مقام المأمون عندما كان أميراً، ثم صارت مقر خلافته عندما بويع بالخلافة سنه **١٩٨** هـ / **٨١٢** م، فاستقر بها لمدة تسع سنوات، ويبدو أنه أثر المقام وسط أنصاره الموالين له بخراسان علي بغداد التي كان أهلها أنصاراً لأخيه الأمين.
- كانت رحلة الخليفة المأمون من مرو إلي بغداد عبر طريق خراسان العظيم، الذي يبدأ من بغداد ويمر بالعديد من مدن المشرق حتي ينتهي إلي تخوم الصين.
- اتسمت رحلة الخليفة المأمون بأنها رحلة بطيئة استغرقت ما يقرب من العام ونصف العام، منذ منتصف عام **٢٠٢**هـ / **٨١٦**م حتي أوائل عام **٢٠٤**هـ /

٨١٨ م، ويبدو أن طول المدة الزمنية للرحلة يرجع إلي رغبة المأمون في الاطمئنان على أحوال بلاد المشرق قبل مغادرته إلي العراق، ورغبته كذلك في استقرار الأوضاع السياسية بالعراق قبل وصوله إليها، فلم يسرع فى رحلته بل تأنى فى الطريق حتى يتحقق له ذلك.

- نزل الخليفة المأمون بكل منازل الرحلة التى اجتازها ولم يطويها فنزل سرخس ثم طوس ثم بيهق ثم جرجان ثم الرى ثم همذان ثم قرميسين ثم حلوان ثم النهروان الي أن وصل الي بغداد.
- رافق الخليفة المأمون فى رحلته أهله وحاشيته وجيشه وقادته وحجّابه وحرسه ومؤدبيه فضلاً عن بعض الشخصيات المهمة كوزيره الفضل بن سهل وولى عهده عليّ الرضا وبعض الأئمة العلويين وغيرهم، بعضهم استكمل الرحلة مع الخليفة حتى وصل بغداد، وبعضهم سقط أثناء الطريق فلم يكمل الرحلة مثل الفضل بن سهل الذى قتل بسرخس وعلىّ الرضا الذي مات أو قتل بطوس وكذلك محمد بن جعفر الذى توفى بجرجان.
- دخل المأمون بغداد في سنة ٢٠٤هـ / ٨١٨ م، والتى صارت مقر خلافته منذ ذلك الحين حتي وفاته سنه ٢١٨هـ / ٨٣٣ م.
- كان لرحلة الخليفة المأمون إلي بغداد ثمار عديدة تمثلت في استتباب الأمور فى بغداد وإعادة الأمن والهدوء اليها وتبوأها مركز الصدارة فى العالم الإسلامى مرة أخري كعاصمة للخلافة العباسية، بعد أن نافستها عليه مدينة مرو فى بداية حكم المأمون، وكذلك العودة إلي شعار الدولة العباسية وهو السواد الذي طرحه الخليفة المأمون وأبدله بالخضرة التي كانت ثيابه هو وأتباعه عند دخول بغداد.
- يخيل للمتتبع لأخبار رحلة المأمون الهدوء التام الذى كان يتمتع به الخليفة أثناء رحلته إلي بغداد، وكأنه علي ثقة تامة ويقين راسخ بأن الخلافة ببغداد ستؤول إليه في نهاية الأمر، باعتباره صاحب الحق الشرعي في المقام الأول وبحكم الإمكانات الضخمة التي كان يملكها ويفتقدها غريمه الذي نافسه في الحكم.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية:

- الآبى (منصوربن الحسين الرازى، ت ٤٢١هـ): نثر الدر فى المحاضرات، تحقيق خالد عبد الغنى محفوظ، ج ٧، ط ٢، بيروت ٢٠٠٤.
- إبن الأثير (محمد بن محمد عبد الكريم، ت ٦٣٠ هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، ج ٥، ط ١، بيروت ١٩٩٧.
- الأزدى (زكريا يزيد بن محمد، ت ٣٣٤ هـ): تاريخ الموصل، ج١، د. م ٢٠٠٧.
- الإصطخرى (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد، ت ٣٤٦هـ): مسالك الممالك، بيروت ٢٠٠٤.
- الأصفهانى (حمزة بن الحسن): تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، د. م ١٩٢٢
- أبو بكر الزبيدي (محمد بن الحسين بن عبد الله، ت ٣٧٩هـ): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهره، د.ت.
- البكرى (أبوعبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت ٤٨٧هـ): معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج ٣، ط ٣، بيروت ١٤٠٣ هـ.
- البيهقى (أبوعبيد الله بن محمد، ت ٣٨٤هـ): المحاسن والمساوئ، د.م – د.ت.
- التنوخى (المحسن بن علي بن محمد، ٣٨٤ هـ): الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجى، ج ٣، بيروت ١٩٧٨.
- الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب، ت ٢٥٠ هـ):
  - البيان والتبيين، ج ٣، بيروت ١٤٢٣.
  - الرسائل، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج ٢، القاهرة ١٩٦٤.
- ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ت ٥٩٧ هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادرعطا، ج١٠، ط ١، بيروت ١٩٩٣.
- الجريرى (أبو الفرج المعانى بن زكريا، ت ٣٩٠هـ): الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى، تحقيق عبد الكريم سامي الجندى، ط ١، بيروت ٢٠٠٥.
- ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد، ت ٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج ١، القاهرة ١٩٦٢.

- الحصرى (ابراهيم بن على بن تميم): جمع الجواهر فى الملح والنوادر، د. م - د. ت.
- ابن حوقل (محمد بن حوقل، ت بعد ٣٦٧ هـ): صورة الأرض، ج٢، بيروت ١٩٣٨.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت ٣٠٠ هـ): المسالك والممالك، بيروت ١٨٨٩.
- الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على، ت ٤٦٣ هـ): تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ج ١٣، د. م - د. ت.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٤٠ هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعه سهيل زكار، ج ٣، ط١، بيروت ١٩٨١.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد، ت ٦٨١ هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج ٦، ط ١، د.م ١٩٠٠.
- الذهبى (الحافظ شمس الدين محمد، ت ٧٤٨ هـ): سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين، ج ١، ط ١، بيروت ١٩٨٠.
- الزبير بن بكار (بن عبدالله القرشي، ت ٢٥٦ هـ): الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، ط ٢، بيروت ١٩٩٦.
- سبط ابن الجوزى (شمس الدين ابو المظفر يوسف، ت ٦٥٤هـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد بركات وآخرون، ج ١٤، ط ١، دمشق ٢٠١٣.
- السهمى (أبو القاسم حمزه بن يوسف، ت ٤٢٧ هـ): تاريخ جرجان، تحقيق محمد عبد المجيد خان، ط ٤، بيروت ١٩٨٧.
- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ) : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٨، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٧.
- ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا، ت ٧٠٩ هـ): الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق عبد القادر محمد مايو، ط١، بيروت ١٩٩٧.
- ابن طيفور (أحمد بن أبى طاهر، ت ٢٨٠ هـ): بغداد، تحقيق عزت العطار الحسيني، ط ٣، القاهرة ٢٠٠٢.
- ابن العمرانى (محمد بن علي بن محمد، ت ٥٨٠ هـ): الإبناء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائى، ط ١، القاهرة ٢٠٠١.

- العمرى (أحمد بن يحيي بن فضل الله، ت ٧٤٩ هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٢، ط ١، أبو ظبي ١٤٢٣ هـ.
- ابن فندمة (أبو الحسن ظهير الدين علي، ت ٥٦٥ هـ): تاريخ بيهق، ط ١، بغداد ١٩٨١.
- القرطاجني (حازم بن محمد بن حسين، ت ٦٨٤ هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، د. م – د. ت.
- القزوينى (زكرياء محمد بن محمود، ت ٦٨٢ هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت د. ت.
- ابن كثير(أبو الفداء اسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤ هـ): البداية والنهاية، بيروت ١٩٨٦.
- ابن المجاور (جمال الدين أبي الفتح يوسف، ت ٦٩٠ هـ): تاريخ المستنصر، د. م – د. ت.
- المرزبانى (أبو عبيد الله محمد بن عمران، ت ٣٨٤ هـ): معجم الشعراء، تصحيح ف. كرنكو، ط ٢، بيروت ١٩٨٢.
- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين، ت ٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، تحقيق اسماعيل الصاوى، ج ١، القاهرة د. ت.
- المقدسى (أبو عبيد الله محمد بن أحمد): احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، بيروت د. ت.
- المقريزى (أحمد بن على بن عبد القادر، ت ٨٤٥ هـ): المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوى، ج ٤، ط ٢، بيروت ٢٠٠٦.
- الهروى (أبو عبيد القاسم بن سلام، ت ٢٢٤ هـ) : الغريب المصنف، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ج ١، د. م ١٤١٥.
- اليافعى (أبو محمد عفيف الدين، ت ٧٦٨ هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج ٢، ط ١، بيروت ١٩٩٧.
- ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله، ت ٦٢٦ هـ):
  - معجم البلدان، ج ٥، ط٢، بيروت ١٩٩٥.
  - معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ج ٦، ط ١، بيروت ١٩٩٣.
- اليعقوبي (أحمد بن اسحاق بن جعفر، ت ٢٩٢ هـ):
  - البلدان، ط ١، بيروت ١٤٢٢ هـ.
  - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، بيروت د.ت.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج ٤، القاهرة ١٩٠٢.
- راشد عبد الله جميلى: دراسات فى تاريخ الخلافه العباسية، بيروت ١٩٨٤.
- غسان الشيخ الخفاجي: السيرة الذهبية، سوريا ٢٠١٩.
- فاروق عمر فوزى: " سياسة المأمون تجاه العلويين "، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، ع ١٦، ١٩٧٣.
- لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط ١، د. م ٢٠٠٦.

ثالثاً: المصادر الفارسية:

- خواندمير: حبيب السير في أخبار أفراد بشر، جلد دوم، جاب دوم، تهران ١٣٠٣ هـ.
- القمى: تاريخ قم، تصحيح سيد جلال الدين طهرانى، ١٣٥٣ ق.

رابعا: المقالات الفارسية:

- شهرام بى باک: " جغرافياى تاريخى خراسان در ادوار تاريخ "، نشريه علمي تخصص شباک، شماره ١، ١٣٩٨ ش.
- علي رضا كشوردوست: " خراسان بزرک در فرايندهاى زمان "، فصلنامه علمى – بزوهشي بزوهشنامه خراسان بزرک، شماره ٨، ١٣٩١ ش.
- فريبا بات: " أوضاع سياسى – اقتصادى مرو در جاده خراسان تا حمله مغول"، مطالعات تاريخ اسلام، شماره " ٣١، ١٣٩٥ ش.
- فضل اله فولادى: "جغرافياي تاريخي وسياسي بيهق از فتح اسلام تا دوره غزنويان"، تاريخنامه خوارزمى، شماره بيستم، ١٣١٦.